استطلاع جريدة الرياض قبل سبع سنوات عن مسورة العوامية يُثبت مكانتها التاريخية وتمسك الأهالي بها



أثبت استطلاع لجريدة الرياض قبل سبع سنوات نشرته بعنوان (عمرها ناهز 400 عام وكبار السن فضلوا البقاء "مسورة العوامية"..)، الجمعة 28 صفر 1431هـ - 12 فبراير 2010م - العدد 15208، تمسك أهالي العوامية بها، لاسيما كبار السن، بالإضافة مكانتها التاريخية.

الاستطلاع الذي أجراه الصحافي منير النمر، بدأ بتاريخ التشييد، ويقول النمر في بدايته، "على الرغم من مرور نحو 400 عام على تشييد "مسورة العوامية" القديمة التي تقع على بعد نحو 500 متر من "حي الزارة التاريخي"، إلاّ أن بعض كبار السن من قاطني بلدة العوامية حيث توجد المنطقتان التاريخيتان يصرون على البقاء في بيوتها التاريخية التي بُنيت من الحجر البحري و أشجار النخيل التي صفت في شكل هندسي يصفه معماريون حديثون ب "الفني الساحر"، خاصة أن بناؤو ذلك الزمان لم يدرس أحد منهم في أي أكاديمية للهندسة".

ويشير النمر فيه برفض كبار السن مغادرة البيوت، "ويرفض كبار السن مغادرة البيوت، فيما يفضّل أدباء وشعراء الجلوس في أحد المنازل القديمة طمعاً في إلهام قد ينزل على هذا الشاعر أو ذاك،

ويقول الشاعر حسين اللباد الذي يرتقب ديوانه "سأعود عند المغفرة" في معرض الكتاب في الرياض: نجلس في بيت من البيوت القديمة لأنه يجعلنا نعيش في بيئة لم ندركها".

يُتابع النمر "وإن كان اللباد أحد الشعراء الشباب الذين يتوقون للماضي، فإن أم علي المرأة الثمانينية التي تربت وعاشت في المسورة تشدد على عدم تركها كما يرغب أولادها الذين انتقلوا إلى "حي الجميمة" الذي أنشئ قبل نحو 70 عاماً، وتقول: إن هذه البيوت تمثّل الماضي بكل ذكرياته السعيدة والحزينة، إن عمري سينتهي هنا كما بدأ هنا".

ويُبين النمر تاريخها الموغل في العهد الجاهلي والإسلامي، فيقول: وتعتبر مسورة العوامية أحد أهم معالم تشكل البلدة واتساع رقعتها، إذ هاجر الناس جماعيا لها، فشكلوا لهم مساحة سورت بسور، وكانت بداية الهجرة من "حي الزارة" الموغل في التاريخين الجاهلي والإسلامي".

وينقل النمر عن أبو أحمد (89 عاما)، قوله: "كان للمسورة سور وفي كل زاوية يوجد برج للمراقبة"، مشيراً إلى أن الأجداد كانوا يضطرون للحراسة ليصدوا أي هجوم محتمل يأتي من الخارج، خاصة أن الدولة السعودية لم تقم بعد آنذاك، مشيرا إلى أن توحيد المملكة جعل النزاعات شيئا من الماضي، ما حقق تحولا جذريا في الأمن، إذ تحولت مهام السور من حام إلى سور للزينة والتاريخ .

مع أن المسورة لم يبق منها إلا منازل قليلة في الوقت الراهن، إلاّ أن الباحث في شؤون التراث والتاريخ زكي الصالح يرى بأن من الممكن إنقاذ المنطقة التاريخية وترميم البيوت وبناء ما سقط منها، إذ يقول: "لو تضافرت الجهود الرسمية والشعبية نستطيع أن نحول المنطقة لقرية تراثية حقيقية تزيد من حضور السياح القادمين من مختلف مناطق الغرب"، مشيراً إلى أن "مسورة العوامية" تعتبر محطة سياحية يأتيها السياح في الوقت الراهن "إذ نستقبل وفوداً سياحية ونشرح لهم أهمية وتاريخ هذه المنطقة".

ويؤكد الصحافي في استطلاعه على استمرار مظاهر الحياة داخل المسورة، ولا يتقصر اهتمام السياح على زيارتها، بل لا بد من التقاط الصور التذكارية مع كبار السن الذين يصادف وجودهم أثناء زيارة الوفد السياحي للمنطقة التي يتحدث عنها السياح الأمريكيين في بلادهم عن طريق منتديات الشبكة العنكبوتية، وتتشكل المسورة القديمة من نحو 300 منزل بنيت جميعها بطريقة متشابهة لحد كبير، إذ لعبت جذوع النخل الدور الأبرز، خاصة فيما يخص الممرات التي تعلوها المنازل المشكلة من طبقتين.

ويقول أبو أحمد: "كانت البيوت قوية جدا، ولهذا صمدت كل هذا الوقت"، مضيفا "إن منزلي ورثته عن أبي، وهو يذكرني بصغري وشبابي"، مشيراً إلى أن كثيراً من أبناء جيله خرجوا من المسورة وانتقلوا إلى أحياء جديدة.

وشيدت المسورة في شكل متلاصق، إذ لا يكاد يتسع الطريق لأكثر من 3.5 متر، ويضيف أبو أحمد "قديما كان البناؤون يفكرون بهذه الطريقة في البناء، إذ لم تكن في العالم السيارات كي يحسب حسابها، وكل ما هو موجود الحمير التي يتم التنقل بها داخل المسورة وخارجها".

وأضاف "هذه المسورة تعتبر في زمنها استراتيجية تدل على قوة العوامية من الناحية الدفاعية، خاصة أن المعارك قد تقع بسبب الغزو الذي تقوم به بعض القبائل المحيطة آنذاك".

وليس بعيداً عن اهتمام بعض السياح بالمسورة في الوقت الراهن، تتذكر أم علي زيارة بعض "الأفندية" كما تسميهم، إذ تقول: "كانوا يأتون ويستقبلهم الرجال ويضيفونهم، وكنت أجلس بقرب أمي وهي تطبخ لهم كما نقلت لي رحمها ا".

وتأكيدا لأم علي شهدت قبل نحو 85 عاماً المسورة زيارة علمية وصفت بـ"المهمة جدا"، إذ زارها المستشرق "ج.ج. لويمر"، وتحدث عنها بـ"أنها القرية التي شيدت من الحجر البحري المدعم بأشجار النخيل التي صفت ببعضها بطريقة هندسية جذابة".

ويشير النمر إلى الممر الذي يمثل الطرق الداخلية للمسورة فيما يعيش الناس فوقه، فيما يؤكد الاهتمام الشبابي بالتوثيق، ويقول: وعلى الرغم من عدم استطاعة أبي أحمد توثيق تاريخ المسورة وتخليدها في ذاكرة الزمن، إلاّ أن مصورين فوتغرافيين يقصدون المسورة لغرض توثيق تاريخها الموغل في الزمن، ويقول المصور الفوتوغرافي الشاعر محسن الزاهر: "أحرص على التقاط الصور التي تبرز تاريخ المنطقة، خاصة أن بيت والدي في المنطقة، ونحن نرفض أن نبيعه لأنه يمثل جزءا من التاريخ"، مشيراً إلى أهمية الصورة في توثيق المسورة ووضعها في الزمن.

ويضيف الفوتوغرافي "أخرج مع مجموعة من المصورين ونلتقط الصور التي احتفظت ببعض المناطق التي أزيلت، ولو لم تصور لما استطاع أولادنا رؤيتها لأنها انتهت إلى الأبد"، متمنياً أن يتم الالتفات للمسورة التي تعد من أهم المناطق التاريخية في محافظة القطيف، إذ إن عمرها ممتد في الزمن، كما أنها تنهار أمام أعين الجميع ولا أحد يحرك ساكنا كي يتم إنقاذ المتبقي في الحد الأدنى.

ويرجع النمر في استطلاعه إلى التاريخ ويُبين: تعود جذور العوامية ونشأتها إلى وجود "حي الزارة" الذي سبق أي تشكل طرأ على الاسم العائد إلى أمير الزارة الحسن بن العوام الذي عاش في القرن الثالث الهجري، فأضيفت "ياء" النسب لتضاف للقب الأمير، فأصبحت المنطقة تسمى العوامية نسبة إليه.

وتعتبر "الزارة" أقدم مدن "الخط"؛ حسب علامة الجزيرة حمد الجاسر الذي يقول عنها: "عرفت أبّان ظهور الإسلام وجُهل تاريخها قبل ذلك وكانت مقر والي البحرين من قبل الفرس حين كان نفوذهم ممتداً إلى هذه البلاد في العهد الجاهلي"، ولعبت "الزارة" أدوارا سياسية تاريخية، إذ اعتبرها المؤرخ محمد سعيد المسلم شهيرة.

أما تاريخ القطيف المُعارض والرافض إلى الهيمنات والغطرسة، فيضيف حمد الجاسر: "خربها أبو سعيد الجنابي نكاية بأهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه آنذاك "، فيما يرجع باحثون بروز اسم الزارة إلى ظهور أحداث بارزة في التاريخ الإسلامي كـ"حركتي الردة والقرامطة" التي ملأتا كتب التاريخ.

وبهذه الحضارة الضاربة في عمق التاريخ يختم الصحافي "نمر النمر" استطلاعه، لكن ماذا عن التاريخ الحاضر للعوامية والقطيف عامة في ظل حكم الأسرة التي حكمت العباد والبلاد بالنار، وهدمت كل الحضارات والآثار الإسلامية، مرورا بالقطيف التي يشهد تاريخها رفض الظلم والهيمنة، وصولا إلى محو أثار بيت النبوة عليهم السلام؟!